دانييل مارويكي *

كيف تحوّل اليهود أخيرًا إلى ألمان؟ السياسة الألمانيّة تجاه إسرائيل وتحوّل اللاساميّة

مقدّمة

«من المفارقة أن خروج اليهود من أوروبا سمح باندماجهم في أوروبا» (Raz-Karkotzkin, 2015:294). يقرأ أمنون راز-كركوتسكين الصهيونيّة على أنّها «مشروع تغريب اليهود، وهي عمليّة حصلت من خلال تذويت المفاهيم المسيحيّة عند اليهود وتذويت نفيهم. شُكّلت شخصيّة الصهيونيّ العلمانيّ، وهي الشخصيّة الرائجة في تمثيل «اليهوديّ- المسيحيّ» في أيامنا، من خلال تمييزها عن الشرق وعن العرب وعن اليهودي المنفيّ تاريخيًّا». (نفس المصدر: ٢٧٦).

يعتبر هذا المقال تناقض «الاندماج من خلال الخروج» كنقطة بداية، ولكنّه يرتكزّ بشكل تامّ على الجانب الأوروبيّ وليس الصهيونيّ المتعلّق بهذا الخروج. على وجه التحديد، يبحث هذا المقال كيف أعادت جمهوريّة ألمانيا الاتحاديّة، وهي دولة مركزيّة في عمليّة إعادة خلق أوروبا ما بعد ١٩٤٥، تصوّر مفهوم اليهوديّ الآخر من خلال علاقتها مع الدولة الإسرائيليّة.[١] أي نوع من إعادة التصوّر 'لليهوديّ' نلاحظ في التحوّل الألمانيّ ما بعد الحرب تجاه إسرائيل؟ أي تحوّلات لاساميّة نرى ولماذا؟ لأن هذه الأسئلة مبنيّة على أسس ناقدة للخطاب الألمانيّ الرسميّ، الذي يصوّر العلاقات مع إسرائيل كصيغة للتّغلّب على اللاساميّة وليس كتحويل لها، هناك حاجة لمقدّمة قصيرة لشرح هذا الخط من التساؤل.

تصوّر الحكومة الألمانيّة العلاقات مع إسرائيل بمفاهيم الأخلاقيّة والمسؤوليّة التاريخيّة. يعتبر الألمان أن قبول الدولتين باتفاقيّة التعويضات عام ١٩٥٢ ومن بعدها تعميق العلاقات بينهما بمثابة 'معجزة'. تميل الأدبيّات الأكاديميّة الألمانيّة،

* باحث وطالب دراسات عليا في جامعة SOAS، متخصص في مجال العلاقات الإسرائيلية الألمانيّة.

تستدعي مواطن الضعف الواضحة لشرح «أخلاقيّة» التحوّل الألمانيّ تجاه إسرائيل السؤال حول الوظائف السياسيّة التي يحقّقها هذا الخطاب الأخلاقيّ ونوع المعرفة التي يخفيها في نهاية المطاف. ادّعى النقّاد أن رغبة ألمانيا ما بعد الحرب بإعادة تأهيل نفسها و «التبييض» (Stern, 1992) كانت عوامل محفّزة مركزيّة لتحوّلها تجاه إسرائيل، وبهذا أوحت إلى أنه يجب البحث بدقّة عن هيمنة التفسير الأخلاقيّ من خلال استمراريّة الماضي النّازيّ.

الشحيحة بصورة مفاجئة، وتلك التي باللّغة الإنجليزيّة عن العلاقات الألمانيّة- الإسرائيليّة، إلى إعادة إنتاج خطاب الحكومة الألمانيّة بتفسير 'معجزة' العلاقات الألمانيّة- الإسرائيليّة بعد الكارثة من خلال تصافٍ أخلاقيٍّ مع الماضي (Gardner-Feldman, 1984; Hansen, 2002; Lavy, 1996; Pallade, 2005; see also Herf, 2016: 1). ويتمّ استخدام التفسير الأخلاقيّ للعلاقات الألمانيّة- الإسرائيليّة بشكل حصريّ تقريبًا في سياقٍ ألمانيّ وليس إسرائيليّا. من المهم الانتباه إلى ذلك، لأنّه من السهل اعتبار ذلك إشكالاً، حيث أنّ إدارة آديناور الأولى أحبطت- وحتى عكست جزئيًا- عمليّة نزع النازيّة التي بادرت إليها قوات الحلفاء بمراحلها الأولى. تماشيًا مع عمليّة فقدان الذاكرة المجتمعيّة، تمّ إدماج نازيين سابقين (وعدد لا يحصى به من المتعاونين) في أعلى درجات الحكم في الدولة (راجع Frei, 2002; Tooze, 2011).

تستدعي مواطن الضعف الواضحة لشرح «أخلاقيّة» التحوّل الألمانيّ تجاه إسرائيل السؤال حول الوظائف السياسيّة التي يحقّقها هذا الخطاب الأخلاقيّ ونوع المعرفة التي يخفيها في نهاية المطاف. ادّعى النقّاد أن رغبة ألمانيا ما بعد الحرب بإعادة تأهيل نفسها و«التبييض» (Stern, 1992) كانت عوامل محفّزة مركزيّة لتحوّلها تجاه إسرائيل، وبهذا أوحت إلى أنه يجب البحث بدقّة عن هيمنة التفسير الأخلاقيّ من خلال استمراريّة الماضي النّازيّ.

عادت إلينور ستيرلينغ، وهي ابنة لأبوين أُبيدا في الكارثة، إلى ألمانيا من المنفى في الولايات المتّحدة. وهي امرأة يهوديّة، أصبحت أوّل محاضرة امرأة للعلوم السياسيّة في جمهوريّة ألمانيا الاتحاديّة (FRG). أعمالها حول اللاساميّة مهمّشة اليوم وتكاد تكون منسيّة. كتبت مقالاً في ١٩٦٥ للجريدة الأسبوعيّة داي زايت (Die Zeit) ادّعت من خلاله أنّ الدول العظمى الغربيّة التي اعتمدت عليها الجمهوريّة الألمانيّة الاتحاديّة الفتيّة سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا قد خانت خصالها الديمقراطيّة الأصيلة. على أثر ذلك، بدأت الجمهوريّة الألمانيّة الاتحاديّة باستخدام رموز وبتغيير تصرفاتها لإظهار إنسانيّتها وشهاداتها الديمقراطيّة ما بعد الحرب، بهدف تخفيض حالة انعدام الثّقة التي عانت منها. ناقشت ستيرلينغ مدّعية أن توجّه الفيلوساميّة[٢] الوظائفيّة كان بديلا عن التفهّم، والتوبة والحذر الحقيقيين (Aterling, 1965).

بحسب ستيرلينغ، إذا حلّلنا تحوّل ألمانيا ما بعد الحرب تجاه إسرائيل كفعل استبداليّ تظهر ألمانيا جديدة، بينما فعليًا لا يمكن لألمانيا من هذا النوع أن تكون، وما يمكننا أن نتوقّعه هو أن نجد في هذا التحوّل فوضى وعقبات واستمراريّات لألمانيا 'القديمة'.

نبحث فيما يلي التصوّرات الألمانيّة لإسرائيل من عهد ما بعد الحرب وحتى عام ١٩٦٧. مدّت الجمهوريّة الألمانيّة الاتحاديّة إسرائيل غير المكتملة بعد، في هذه الفترة التكوينيّة للعلاقات الألمانيّة- الإسرائيليّة، بإمدادات مصيريّة بمفاهيم اقتصاديّة وعسكريّة (راجع Belkin, 2007). تم تزويد هذه الإمدادات، كما ذكر أعلاه، لأسباب تتعلّق بإعادة التأهيل والاندماج مع الكتلة الغربيّة في الحرب الباردة. مع ذلك، وخصوصًا بعد حرب السويس عام ١٩٥٦، تم دعم إسرائيل بكونها 'حصن الغرب' في الشرق الأوسط، بحسب تعبير المستشار آديناور (اقتباس من Blasius/Jelinek 1997: 337).

تشكّل سياسة هذه العلاقة الماديّة ما بين ألمانيا الغربيّة وإسرائيل السياق المطلوب للأثر الأيديولوجيّ للتحوّل الألمانيّ تجاه إسرائيل. يبحث القسم الإمبريقي، أولاً، الاستمراريّة المجازيّة لـ'القوة اليهوديّة' في السياسة الألمانيّة- الإسرائيليّة، ويبحث كيف تمّت إعادة تصوّر اليهود الإسرائيليّين كألمان. ويناقش الاستنتاج فائدة تفسير فكرة ال «فيلوساميّة» للمادّة الواردة في هذا المقال، ويختتم بتقييم قصير للسياسة الألمانيّة- الإسرائيليّة اليوم.

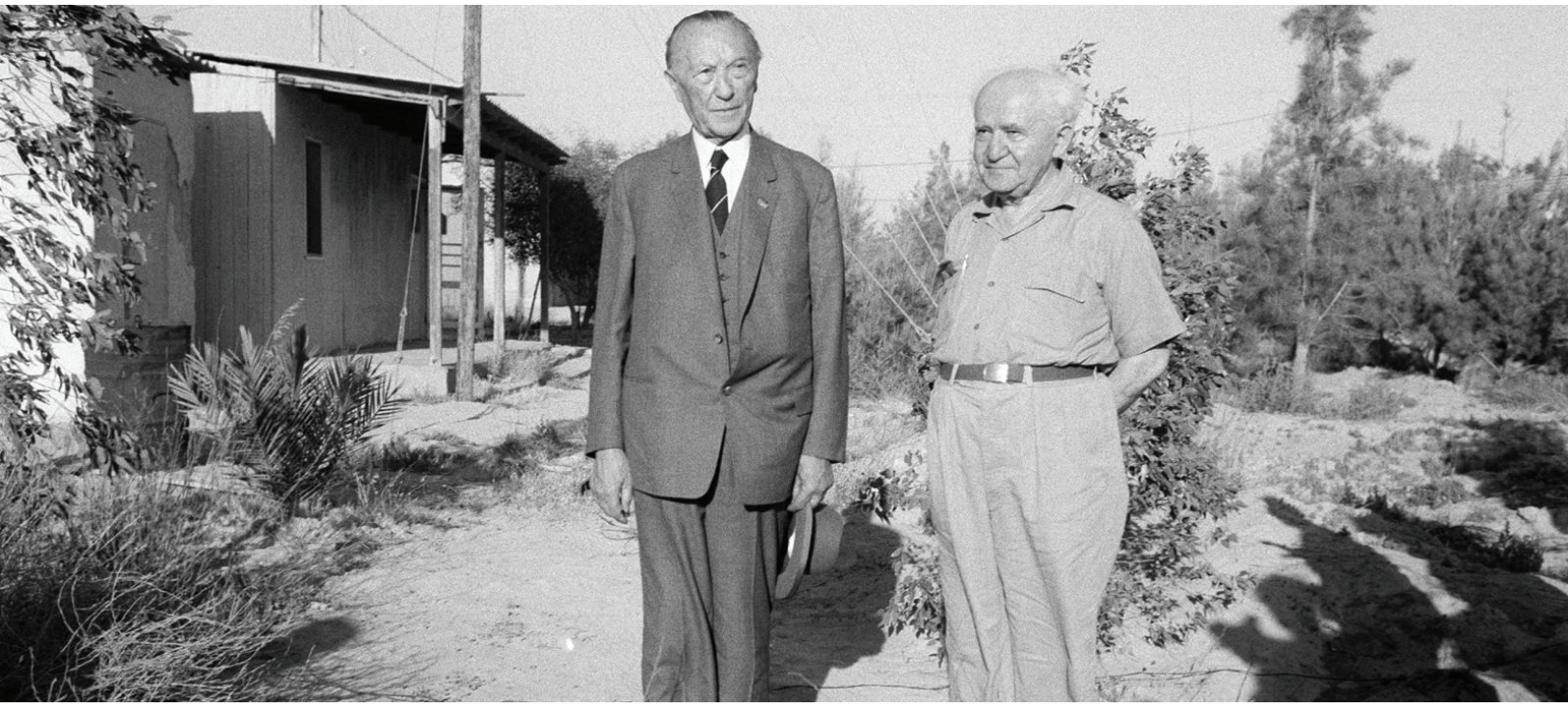

كونراد أديناور (يسار) مع بن غوريون في النقب بعد عام من توقيع اتفاقية التعويضات.

٢. القسم الأساسيّ

٢,١ 'قوة يهوديّة': استمراريّة لمجاز لاساميّ؟

سأل التلفزيون الألماني كونراد آديناور عام ١٩٦٥، بعد سنتين من تقاعده، عن سياسته بتعويض اليهود ودولة إسرائيل. كان جواب آديناور، والذي يُقرن اسمه أكثر من أي شخص آخر بـ«ولادة ألمانيا من جديد» كالتالي:

لقد ظلمنا اليهود بشكل كبير وارتكبنا الجرائم ضدّهم، فإذا أردنا استعادة مكانتنا الدوليّة، كان يجب التكفير عن هذه الجرائم أو إصلاحها [...] بالإضافة إلى ذلك، يجب عدم الاستخفاف بقوّة اليهود حتى اليوم، وخصوصًا في أميركا.[٢]

هذه الإفادة معروفة نسبيًا (على سبيل المثال، Achcar 2009: 280). يكشف آديناور أولاً بوضوح دافعه لدفع التعويضات: «لاستعادة مكانتنا الدوليّة». تتّصل المصلحة في إعادة تأهيل صيت ألمانيا بالجملة التالية بالمجاز الذي ترتكز عليه اللاساميّة المعاصرة، وهي القوّة اليهوديّة. للتأكيد، لم يكن آديناور في أي مرحلة من مراحل حياته السياسيّة نازيًا، أو قريبًا من الحزب النازيّ. علاوة على ذلك، واضح أنه لا يوجد لمضمون التصريح اللاساميّ أعلاه طبيعة استبعاديّة أو إباديّة. ولكن ما يمكن أن يفاجئنا هو اعتراف آديناور الصريح لدوافعه أمام الجمهور الألمانيّ. بات اختلاط هدف إعادة التأهيل مع اللاساميّة واضحًا وشيئًا طبيعيًا يمكن قوله في التلفزيون الألمانيّ حتى في عام ١٩٦٥. يعتقد جيلبير أشقر أن هذه الإفادة «تجسيد مثاليّ» للفيلوساميّة الألمانيّة ما بعد الحرب، والطرق التي «تستعير بها من اللاساميّة بوضع مواقف لاساميّة على رأسها ببساطة» (نفس المصدر).

من الصعب قياس درجة تأصّل فكرة 'القوّة اليهوديّة' وتأثيرها على السياسة الخارجيّة الألمانيّة بطبيعة الحال. ولكن من جهة أخرى، من المثير ظهور هذا المجاز بشكل دائم في ملفّات وزارة الخارجيّة الألمانيّة- الـ AA (Auswärtiges Amt). قد تكون المراسلات بين أول سفير ألمانيّ في إسرائيل، رولف باولس، والمقر في بون، مثيرة في عدّة سياقات، ولا سيّما في هذا السياق. قرّرت كلٌّ من ألمانيا وإسرائيل أن تدخلا في علاقة دبلوماسيّة في آذار ١٩٦٥ بعد الأزمة الألمانيّة- العربيّة المتعلّقة بالدعم العسكريّ الألمانيّ لإسرائيل. كان باولس ضابطًا سابقًا في الجيش الألمانيّ (Wehrmacht) وقد فقد ذراعه في الجبهة الشرقيّة ومُنِح وسام الصليب الحديديّ تقديرًا لخدمته. كان نائبه أليكساندر توروك، من مواليد هنغاريا، خدم في السفارة الهنغاريّة في برلين تحت حكم فرنك سالاسي الفاشيّ الذي فرضه النازيون في نهاية ١٩٤٤ وحتى ١٩٤٥. ساعد كلاهما في المفاوضات على اتفاقيّة التعويضات في ١٩٥٢. نظرًا إلى عملهما العسكريّ خلال فترة

في حين ارتبطت فكرة القوّة اليهوديّة في إعادة تأهيل ألمانيا في حالة آديناور، ترتبط ذات الفكرة هنا بمطالبة ألمانيا الغربيّة بألمانيا الشرقيّة. من أجل تحقيق هذه المطالبة، كان على الدولة اليهوديّة وعلى اليهود في أماكن أخرى (وخصوصًا في الولايات المتّحدة أغلب الظّن)، كما يبدو، أن يكونوا إلى جانب ألمانيا.

الحرب، كان كلاهما، دون شكّ، على دراية بإبادة الألمان لليهود في أوروبا الشرقيّة، وبهذا كانا متواطئين مع هذه الإبادة. وعندما نسأل لماذا اختارت بون ممثّلين لهما هذه الخلفيّة، علينا أن نذكّر أنفسنا أنه لم يُعتبر الجيش الألمانيّ (Wehrmacht) في ذلك الوقت منظّمة إجراميّة، وكذلك الأمر بالنسبة لمن عمل مع وزارة الخارجيّة الهنغاريّة المتحالفة مع النازيين.

وصفت الجريدة الأسبوعيّة الألمانيّة داي زايت (Die Zeit) تعيين باولس «الأكثر تعقيدًا وخطرًا» في الدبلوماسيّة الألمانيّة (Die Zeit, January 7th, 1966). تشير تعيينات باولس اللاحقة في واشنطن وبكين، بوضوح، إلى أهميّة إسرائيل في السياسة الخارجيّة الألمانيّة، وكذلك الأمر بالنسبة لمكانة باولس في السلك الدبلوماسيّ- فقد تمّ تجهيز السفارة في تل أبيب بأفضل ما يمكن أن تقدّمه ألمانيا.

يلخّص المقال المذكور أعلاه في داي زايت(Die Zeit):

لم تكن هناك شكوك في إسرائيل فقط باتخاذ وزير الخارجيّة شرويدير قرارًا صائبًا السنة الماضية بإرسال رئيس سابق في هيئة الأركان وحامل وسام الصليب الحديديّ من قبل الجيش الألمانيّ ليكون سفيرًا في تل أبيب. اختفت هذه الشكوك اليوم. بعد مرور أقل من خمسة أشهر نحن نعلم أن رولف باولس كان الشخص المناسب لتحرير العديد من الإسرائيليين من آرائهم المسبقة التي تعتبر فقط مقاتلي المقاومة ضد هتلر ألمانا شرفاء. (نفس المصدر).

لا يمكن في نطاق هذا المقال دراسة المراسلات ما بين تل أبيب وبون بالعمق المطلوب. لذلك نكتفي بإدراج مثال واحد للفكر السياسيّ الذي يتّفق مع إفادة المستشار آديناور، التي اقتُبِسَت أعلاه. بعد تعيينه عام ١٩٦٥ بفترة قصيرة، كتب باولس تحت عنوان «تحفّظات من الإفراط في مراعاة العرب بدعمنا لإسرائيل»، بأنه:

يجب الإشارة مرة أخرى إلى أن لإسرائيل واليهود تأثير كبير في أهم مراكز تشكيل الرأي العام العالميّ. سيكون لهم دور مهم بتقديم النوايا الحسنة لنا، وخصوصًا بموقف الرأي العام العالميّ بخصوص المسألة الألمانيّة [...] وموقف يهود العالم (Weltjudentum-) بالنسبة للمسألة الألمانيّة، والتي لا يمكن فصلها عن العلاقات الألمانيّة- الإسرائيليّة، وهي برأيي أهم لتحقيق أهم أهدافنا السياسيّة من موقف بعض الدول العربيّة تجاهنا. (PA AA, B130, Bd. 8825,19 تشرين الأوّل، 1965).

في حين ارتبطت فكرة القوّة اليهوديّة في إعادة تأهيل ألمانيا في حالة آديناور، ترتبط ذات الفكرة هنا بمطالبة ألمانيا الغربيّة بألمانيا الشرقيّة. من أجل تحقيق هذه المطالبة، كان على الدولة اليهوديّة وعلى اليهود في أماكن أخرى (وخصوصًا في الولايات المتّحدة أغلب الظّن)، كما يبدو، أن يكونوا إلى جانب ألمانيا.

استحضار باولس لموضوع تأثير اليهود على «الرأي العام العالميّ» مثير بسبب استخدامه غير الاعتياديّ لمصطلحات لاساميّة. يستدعي المصطلح Weltjudentum (يهود العالم) الرؤيا الأساسيّة والعنصريّة لشخصيّة الفرد اليهوديّ القويّ والقادر على التأثير عالميًا. إنه مصطلح أساسيّ في نظريّات المؤامرة الموجّهة ضد اليهود التي استخدمتها الأيديولوجية النازيّة. إذا حكمنا على الأمر بناءً على هذه الإفادة، فقد يبدو لنا أنّ السفير الألمانيّ الأوّل في إسرائيل تابع تصوّره بأن الأمة الألمانيّة متعلّقة بـ«اليهود»، والآن، متعلّقة أيضًا بالدولة اليهوديّة التي تأسّست مؤخّرًا.

٢,٢ يهود جدد وألمان قدامى: رغبات نرجسيّة والصراع العربيّ- الإسرائيليّ

في منتصف الستّينيّات، ومع انتهاء اتفاقيّة التّعويضات، كانت العلاقات الألمانيّة- الإسرائيليّة ذات طابع عسكريّ يعود إلى نتائج حرب السويس عام ١٩٥٦. أرسلت ألمانيا إلى إسرائيل في نهاية الخمسينيّات أسلحة خفيفة دون مقابل، بينما اشترت ألمانيا بضائع عسكريّة من إسرائيل، بالأساس ذخائر من القنابل ورشاش «أوزي». وافق آديناور عام ١٩٦٢ على إرسال أنظمة سلاح كبيرة، وقد أضيفت في ١٩٦٤، بدعم من الأميركيّين، الدبابات إلى قائمة الأسلحة التي أُرسلت، فلعب الدعم العسكريّ الألمانيّ دورًا حاسمًا في انتصار إسرائيل في حرب ١٩٦٧. تحوّل ألمانيا العسكريّ تجاه إسرائيل مثير أيضًا في سياق اللاساميّة السابقة وطويلة الأمد والتي نظرت إلى 'اليهوديّ' كشخصيّة ضعيفة تطمح لكسب الأرباح وكشخصيّة غير عسكريّة بتاتًا،

يبدو هنا أن اليهود قد أصبحوا ألمانا أخيرًا. يوضح هذا النوع من التماهي الألمانيّ العنصريّ العلنيّ المبالغ به مع إسرائيل بشكل صارخ كيف يمكن للاستمراريّة اللاساميّة الألمانيّة أن تعبّر عن نفسها من خلال موقف داعم لإسرائيل. في هذه الحالة، يتم وصف إسرائيل بمصطلحات استخدمت للتعبير الذاتيّ الألمانيّ في فترة ما قبل عام ١٩٤٥: أصبحت إسرائيل آرية. تماهي ألمانيا مع قدرة إسرائيل العسكريّة في هذه الظروف هو نتيجة حتميّة لتكوين السياسة الألمانيّة تجاه إسرائيل والتي تم تداولها في هذا الفصل، والتي لم تهدف إلى مواجهة الماضي، وإنّما إلى غسل مخلّفاته.

بعكس التصوّر الذاتيّ العسكريّ الذي يراه البروسيون الألمان.

أشار المؤرّخ الإسرائيليّ روني شتاوبر إلى «مفاجأة» النخبة السياسيّة- العسكريّة الألمانيّة من القدرة العسكريّة الإسرائيليّة التي بانت خلال حرب السويس عام ١٩٥٦ (Stauber 2013: 243). يتطرّق شتاوبر إلى محادثة بين وزير الدفاع الألمانيّ فرانز- جوزيف شتراوس وهانس شبيدل في كانون الأوّل ١٩٥٦. كان شبيدل مؤسّس جيش ألمانيا الغربيّة، البوندسوير (Bundeswehr) ولاحقًا رئيس أركان قوّات اليابسة في أوروبا الوسطى التابعة لحلف شمال الأطلسيّ، كما كان أيضًا قائدًا أعلى في الجبهة الشرقيّة في الفيرماخت (Wehrmacht)، حيث خدم شتراوس كضابط صغير. شتراوس، والذي سيصبح لاحقًا شخصيّة أساسيّة تقف من وراء العلاقات العسكريّة ما بين ألمانيا وإسرائيل، كان أيضًا عضوًا سابقًا في Nationalsozialistischer Kraftfahrerkorps، وهي جمعيّة نازيّة تُعنى بالمركبات. لم يرض شتراوس وشبيدل من الأداءين الفرنسيّ والبريطانيّ خلال أزمة السويس. على ضوء القدرات العسكريّة التي أظهرها الجيش الإسرائيليّ (IDF)، قال أحدهما (غير واضح من الملف أيّ منهما قال ذلك) إنّه «ربّما من الأفضل أن ندع اليهود يهزمون المصريين»(تم الاقتباس من Stauber, 2013: 243). ومن المثير كما يلاحظ شتاوبر، أن شبيدل وشتراوس أُعجبا بالقدرة العسكريّة لـ«اليهود». كيف فسّرت النخبة السياسيّة الألمانيّة لنفسها ما قد يُفهم من منظور لاساميّ ألمانيّ، القدرة الإسرائيليّة- اليهوديّة العسكريّة، المفاجئة فعلاً؟

رفع الوفد المراقب الألمانيّ لمحكمة آيخمان في القدس في أيلول ١٩٦١ تقريرًا لوزارة الخارجيّة الألمانيّة، كُتب به أن مجريات المحكمة مرضية من وجهة نظر ألمانيا الغربيّة. ذُكر أن الحكومة الإسرائيليّة حرصت على أن تميّز ما بين ألمانيا النّازيّة وألمانيا الحاليّة خلال وقائع المحكمة. اختتم التقرير الذي «حظي باهتمام كبير» في وزارة الخارجيّة الألمانيّة بالملاحظة التالية:

من أقوى ما يترك انطباعًا على الزائر الأوروبيّ هو النمط الرائع والمحبّب للشاب الإسرائيليّ الجديد. لا يظهر هذا الشاب، تقريبًا، أيّا من الصفات التي اعتاد أن يراها المرء كصفات يهوديّة، إذ إن له، غالبًا، طول فارع وشعر أشقر وعيون زرقاء، وحركته حرّة وحازمة، وله وجه محدّد ودقيق. ويقدّم نسل المهاجرين اليهود الألمان نوعًا جديدًا من اليهوديّ لم يكن معروفًا حتى الآن (PA AA، B1، Bd.81,13 أيلول، 1961).

يبدو هنا أن اليهود قد أصبحوا ألمانا أخيرًا. يوضح هذا النوع من التماهي الألمانيّ العنصريّ العلنيّ المبالغ به مع إسرائيل بشكل صارخ كيف يمكن للاستمراريّة اللاساميّة الألمانيّة أن تعبّر عن نفسها من خلال موقف داعم لإسرائيل. في هذه الحالة، يتم وصف إسرائيل بمصطلحات استخدمت للتعبير الذاتيّ الألمانيّ في فترة ما قبل عام ١٩٤٥: أصبحت إسرائيل آرية. تماهي ألمانيا مع قدرة إسرائيل العسكريّة في هذه الظروف هو نتيجة حتميّة لتكوين السياسة الألمانيّة تجاه إسرائيل والتي تم تداولها في هذا الفصل، والتي لم تهدف إلى مواجهة الماضي، وإنّما إلى غسل مخلّفاته.

دعونا نركّز قليلاً حول قضيّة التماهي الألمانيّ المفرط، أو، هذا التخيّل من جديد لليهود الإسرائيليّين كألمان. إذا نظرنا إلى العلاقة الألمانيّة الإسرائيليّة منذ ذلك الوقت وحتى اليوم، فقد تكون قمّة التماهي الألمانيّ مع إسرائيل خلال حرب ١٩٦٧. يبدو ذلك جليًّا عندما ننظر إلى التغطية الصحفيّة للحرب في الإعلام الشّعبيّ. كان العنوان الرئيسيّ للصحيفة الرائجة «بيلد» الصادرة عن شركة سبرينغر للنشر "SIEG! Dajan — Der Rommel Israels" («النصر! ديّان- رومل إسرائيل») (تم الاقتباس من Sontheimer 2012). بعد إعلان النصر الذي كُتب بأحرف كبيرة، تمّت المقارنة بين الجنرال الإسرائيليّ موشيه ديان مع «ثعلب الصحراء» (Wüstenfuchs) إيروين رومل، جنرال هتلر في

لا تتطلّب إفادات من هذا القبيل تدقيقًا تحليليًا، حيث أنّها تكشف نواياها بذاتها. استبدل «التصوّر القديم» الذي كان سائدًا لـ«نوع الرجل المنحدر من أصول يهوديّة» بصورة جديدة. ولكن بقي مبنى الآراء المسبقة اللاساميّة. مع ذلك، يبدو التصوّر الجديد لليهوديّ كتصوّر ذاتي ألمانيّ منشود: «الجنديّ البارع» الذي لا يخاف الموت، «الإستراتيجيّ العسكريّ»، وما إلى ذلك. لم تنته اللاساميّة الألمانيّة في ١٩٦٧، ولكنّها ارتاحت لفكرة أن اليهود قد عقدوا العزم الآن على تشكيل دولة قوميّة.

شمال أفريقيا. وكتب مؤسّس شبيغل رودولف أوغستين أيضًا أن الجنود الإسرائيليين «تقدّموا كما تقدّم رومل». كان أوغستين على دراية بالمساهمة الألمانيّة للنجاح الإسرائيليّ: «كان فيلق الدبّابات الفعّال شرطًا أساسيًا لنصر برّاق في حرب خاطفة (Blitzsieg im Blitzkrieg). أرسلت ألمانيا هذه الأسلحة في صفقة ثلاثيّة مع الولايات المتّحدة وإيطاليا». (Spiegel, June 12th, 1967). عندما نتساءل كيف يمكن لصحافيّين بارزين من غرب ألمانيا كيل المديح لإسرائيل من خلال مقارنتها مع الـ Wehrmacht، علينا الإشارة إلى أن المجتمع الألمانيّ ما بعد الحرب كان يعتبر نفسه بالأساس ضحيّة الحرب. كانت توعز الجرائم النازيّة إذا ما تم الاعتراف بها بوضوح إلى دائرة صغيرة من الجناة، وإلى هتلر وحاشيته. أمكن هذا تبييض وجه الـ Wehrmacht.[٤]

كانت الصحف- ولا سيّما التابعة لدار النشر سبرينغر- على دراية تامّة بأن تماهيها المفرط مع إسرائيل يخدم أهدافًا معيّنة. بحسب داي ويلت (Die Welt)، كانت الحرب بمثابة «عاصفة رعديّة مطهّرة» لـ«المواقف الخانقة» التي ما زالت موجودة في ألمانيا الغربيّة (تم الاقتباس من Lewan, 1970: 88). هذا يطرح السؤال، هل «طهّرت» الحرب ألمانيا من اللاساميّة التي كانت منتشرة فيها، أم هي عبء ماضٍ غير معترف به؟ وورد في نفس الصحيفة في ١٨ حزيران:

... انتشرت الشتائم ضد الشعب اليهودي: ... ليس لديهم حسّ وطنيّ؛ غير جاهزين للمعارك أبدًا، ولكنهم متحمّسون دائمًا لجني الأرباح من المجهود الحربيّ للآخرين. مع ذلك، هم الآن شعب صغير وشجاع وبطل وعبقريّ. علينا الاعتراف ليهود الألفيّتين الماضيتين: لقد جعلونا... نؤمن بأكاذيب وبآراء مسبقة... علينا مراجعة التاريخ الفكريّ لـألفيّ السنين الفائتة. (تم الاقتباس من Lewan, 1970: 134f).

وكان لصحيفة شتوتغارت زايتونغ (Stuttgarter Zeitung) نفس الرأي:

... لقد انهار تصوّر الرجل المنحدر من أصول يهوديّة والذي يعود إلى ألفيّ عام... بشكل طبيعيّ، ما زالت صورة التاجر والمثقّف كما هي؛ ولكن فاقتها صورة اليهوديّ كاستراتيجيّ عسكريّ وجندي بارع عازم في مواجهته للموت، والذي يقتحم نيران الدبابات ويصل إلى ما يبتغيه الجميع سرًا: انتصار الصغير، المهَدّد، الذي لا يرحم، على القويّ. الرغبة بالتماهي والتي سببها شعور بالذنب على مرّ التاريخ، تنساب بموجة من التعاطف. (تم الاقتباس من Büttner, 1977: 80).

لا تتطلّب إفادات من هذا القبيل تدقيقًا تحليليًا، حيث أنّها تكشف نواياها بذاتها. استبدل «التصوّر القديم» الذي كان سائدًا لـ«نوع الرجل المنحدر من أصول يهوديّة» بصورة جديدة. ولكن بقي مبنى الآراء المسبقة اللاساميّة. مع ذلك، يبدو التصوّر الجديد لليهوديّ كتصوّر ذاتي ألمانيّ منشود: «الجنديّ البارع» الذي لا يخاف الموت، «الإستراتيجيّ العسكريّ»، وما إلى ذلك. لم تنته اللاساميّة الألمانيّة في ١٩٦٧، ولكنّها ارتاحت لفكرة أن اليهود قد عقدوا العزم الآن على تشكيل دولة قوميّة.

تلخيص

ما سبق هو مجرّد رحلة استكشافيّة خاطفة في المفارقة التي ذُكرت في المقدّمة بشأن استيعاب الألمان لليهود فقط بعد خروجهم من أوروبا. ماذا يمكننا أن نستنتج؟ إذا بحثنا عن تفسير فكريّ للمادّة التي تم تقديمها أعلاه قد تبدو الفيلوساميّة على الخيار الواضح. بإمكان الفيلوساميّة، كفكرة، أن تبيّن الآراء المسبقة اللاساميّة وبنفس الوقت أن تدعم الدولة اليهوديّة. بإمكانها أيضًا أن تساعدنا على استيعاب التماهي الألمانيّ النرجسيّ المفرط والذي ظهر جليًّا في حرب عام ١٩٦٧. إذا كانت الفيلوساميّة مجرّد مرآة للاساميّة، فإنّها أيضًا لا تكشف أيّ شيء عن اليهود أو عن إسرائيل، ولكنّها تكشف كلّ شيء عن هؤلاء الذين يحملون هذه الآراء المسبقة.

على غرار ما تمّ اقتباسه في المقدّمة من ستيرلينغ، أشار فرانك ستيرن (١٩٩٢، ٢٠٠٩) في وقت لاحق أنّه يجب قراءة «تحوّل»

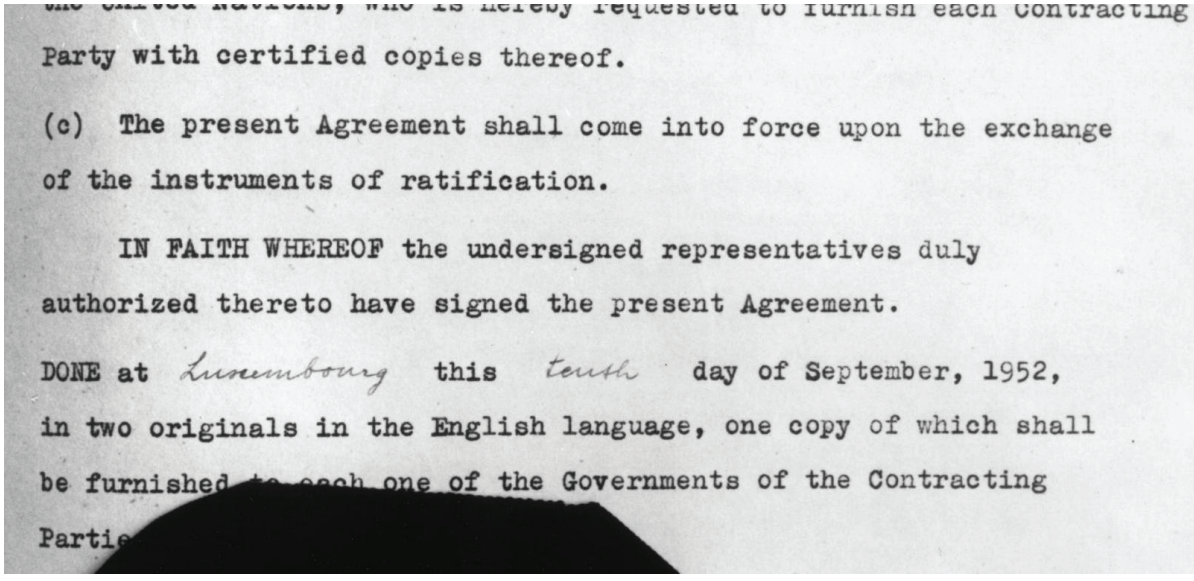

Party with certified copies thereof.

(c) The present Agreement shall come into force upon the exchange of the instruments of ratification.

IN FAITH WHEREOF the undersigned representatives duly authorized thereto have signed the present Agreement.

DONE at Luxembourg this tenth day of September, 1952, in two originals in the English language, one copy of which shall be furnished to each one of the Governments of the Contracting Parti

معاهدة التعويضات التي وقعت في ١٠ أيلول ١٩٥٢ في لوكسمبورغ من قبل المستشار الاتحادي كونراد أديناور والرئيس الإسرائيلي موشيه شاريت.

(Stern, 2009: 278) اللاساميّة الألمانيّة الجماهيريّة إلى فيلوساميّة بعد الحرب كعمليّة تطهير ذاتيّ، كمحاولة منحازة للرضوخ لسلطة القوى المتحالفة، كاختصار طريق وظائفيّ لما يفترض أن تكون دولة ألمانيّة ديمقراطيّة جديدة، للتّصالح مع الإبادة الجماعيّة التي كانت في ماضيها القريب (نفس المصدر). بحسب ستيرن، لم يلغِ الجمهور الألمانيّ ما بعد الحرب طاعته للدولة القوميّة، ولكنّه استخدم الفيلوساميّة كطريقة من بين عدّة طرق للتعامل مع السلطة الجديدة. كما أشار أشقر باقتضاب بناءً على ستيرن، كانت الفيلوساميّة «جزءًا من الثمن الذي قُدّم من أجل اندماج الجمهوريّة الاتحاديّة مع الغرب خلال الحرب الباردة». (Achcar, 2009: 280).

مع أنّ الفيلوساميّة وظّفت للتهرّب من مواجهة عميقة وواضحة مع الماضي النازي، إلا أنها مرتبطة أيضًا بشكل وثيق مع «اللاساميّة الثانويّة»، وهو مصطلح يهدف إلى تعريف أشكال من اللاساميّة النابعة من منظومة دفاع ضد التذنيب. وكما هو الحال في كلّ فكرة، يكمن في هذه الفكرة أيضًا خطر الإفراط. عندما نحلل الموقف الرسميّ الفيلوساميّ للدولة الألمانيّة (الغربيّة) ما بعد الحرب، علينا أن نهتمّ بعدم تحديد هذه الظاهرة زمانيًا ومكانيًا. لنبسّط الأمور، يجب أن لا يُفسّر كل فعل ألمانيّ داعم لإسرائيل كفعل فيلوساميّ. يعكس هذا التوصيف السطحيّ فقط الرواية الأخلاقيّة الرسميّة للعلاقات الألمانيّة- الإسرائيليّة. وكما أشار سابقًا العالم السياسيّ الألمانيّ توماس شيفلر (١٩٨٨)، كانت السياسة تجاه إسرائيل في الحيّز العام الألمانيّ ما بعد الحرب «النقطة المحوريّة لخطابيْن أخلاقييْن عكسييْن». (نفس المصدر: ٧٦). لقد تم نقاشهما إمّا كذريعة لتبييض الماضي، أو كوسيلة لفرض بحث معمّق أكثر للماضي. دمج اليسار غير الشيوعيّ بشكل خاص في سنوات الخمسين والستّين ما بين النضال ضد اللاساميّة والميول الرجعيّة مع الموقف الداعم لإسرائيل (نفس المصدر 82f.).

بطبيعة الحال، يُطرح هنا السؤال: هل يفرض الدعم المبدئيّ لإسرائيل، الذي قد يُدّعى أنّ يتضمّن صفات تحرّريّة أو تقدّميّة، نفسه في السياق الألمانيّ فقط (أو المفهوم الأوروبيّ والغربيّ الأوسع). إنه سؤال عبثيّ بالنسبة للفلسطينيين الذين يعتبرون أن أي دعم للصهيونيّة يمكن أن يُفسَّر كعمل عدائيّ فقط. من المثير الملاحظة، في هذا السياق، بأنّ الدولة الألمانيّة أقرّت دائمًا بمسؤوليّة 'خاصّة' تجاه إسرائيل، وفي نفس الوقت اهتمت دائمًا تجنّب الانطباع أن لديها أي مسؤوليّة 'خاصّة' تجاه ضحايا الصهيونيّة.

عودة إلى السياق الألمانيّ، والأوروبيّ -الأميركيّ أيضًا، تُطرح مسألة دعم الغرب لإسرائيل في سياق صعود اليمين المتطرّف. كما هو الحال بالنسبة لأحزاب يمين متطرّف أوروبيّة أخرى، يتقرّب حزب Alternative für Deutsch-land (AfD) من إسرائيل ويحاول أن يتودّد مع يهود ألمانيا. هذا العناق تكتيكيّ هدفه تبيّيض ماضي وحاضر AfD اللاساميّ، بينما يشرعن في نفس الوقت عنصريّته العميقة ضد المسلمين. تتأثّر هذه الخطوة الأخيرة بإدخال إسرائيل ضمن 'صراع الحضارات' بين الغرب 'المتحضّر' 'اليودو-مسيحيّ'، وبين ما يسمّى المسلم/العربيّ الآخر البربريّ غير العقلاني واللاساميّ. وكما يقترح هذا المقال، ترتبط هذه الخطوة المضاعفة بالأجندة الألمانيّة ما بعد الحرب لإضفاء الشرعيّة على الدولة القوميّة الألمانيّة بعد ١٩٤٥ من دون الاعتراف الكامل

بطبيعة الحال، يُطرح هنا السؤال: هل يفرض الدعم المبدئيّ لإسرائيل، الذي قد يُدّعى أنّ يتضمّن صفات تحرّريّة أو تقدّميّة، نفسه في السياق الألمانيّ فقط (أو المفهوم الأوروبيّ والغربيّ الأوسع). إنه سؤال عبثيّ بالنسبة للفلسطينيين الذين يعتبرون أن أي دعم للصهيونيّة يمكن أن يُفسَّر كعمل عدائيّ فقط. من المثير الملاحظة، في هذا السياق، بأنّ الدولة الألمانيّة أقرّت دائمًا بمسؤوليّة 'خاصّة' تجاه إسرائيل، وفي نفس الوقت اهتمت دائمًا تجنّب الانطباع أن لديها أي مسؤوليّة 'خاصّة' تجاه ضحايا الصهيونيّة.

بالرماد الذي تأسّست عليه. باختصار، يعتمد AfD واليمين الأوروبيّ المتطرّف بشكل عام على الفيلوساميّة ما بعد الحرب بوضوح مخجل لإضفاء الشرعيّة على أجندة عنصريّة تستدعي شبح تاريخ أوروبا الأسود بعدّة طرق.

تدلّ أزمة بناء الائتلاف الحكوميّ بعد الانتخابات الألمانيّة على أزمة أعمق للشرعيّة الديمقراطيّة النيوليبراليّة- الرأسماليّة، والتي تسيطر على أوروبا والولايات المتّحدة، وتشكّل أرضًا خصبة لصعود اليمين المتطرّف. عند كتابة هذا المقال، غير واضح إذا كانت قاعدة الحزب الاشتراكيّ الديمقراطيّ الألمانيّ (SPD) ستوافق على تشكيل حكومة «ائتلاف كبير» أخرى، بحيث يكون بها SPD الشريك الأصغر لحزب الاتحاد المسيحيّ- الديمقراطيّ (CDU) الذي تقوده ميركيل، جنبًا إلى جنب مع الحزب البافاري الشقيق؛ الاتحاد المسيحي- الاجتماعي (CSU). يخشى المعترضون علـى الائتلاف الكبير في SPD من خسارة نهائيّة لما تبقّى من المصداقيّة الاجتماعيّة- الديمقراطيّة. بالفعل، تشير الاستطلاعات الحاليّة إلى أن شعبيّة AfD قد تخطّت شعبيّة SPD بين الناخبين. إذا صوّتت قاعدة SPD ضد اتفاق الائتلاف المقترح، ستكون النتيجة على الأرجح حكومة أقليّات معلّقة؛ وهي تجديد للتقليد الألمانيّ ما بعد الحرب الذي يثمّن الاستقرار السياسيّ عاليًا. قد يعطي هذا بعض الوقت للإصلاحات الضروريّة في SPD ليصبح قائد المعارضة في البرلمان الألمانيّ، وهو دور يقوم به حاليًا AfD.

ما زالت العلاقات الألمانيّة- الإسرائيليّة حتى الآن بمسارها المعروف. لا زالت إسرائيل تعتبر ألمانيا 'صديقتها الثانية الأفضل' بعد الولايات المتّحدة. بُنيت هذه 'الصداقة' بدرجة كبيرة بناءً على علاقات عسكريّة. إن المرحلة الحاليّة التي تتضمّن إرساليّات من الغواصات والسفن غير واضحة إثر الاتهامات بالفساد التي قدمت ضد بنيامين نتنياهو. أما بالنسبة للصراع الإسرائيليّ- الفلسطينيّ، تعيد الحكومة الألمانيّة شعارها 'حل الدولتين الذي يعتمد على المفاوضات'.

ألمانيا متورّطة بشكل عميق في الصراع بسبب استثمارها الماديّ والسياسيّ الكبير في عمليّات أوسلو التي انتهت صلاحيّتها منذ ومن طويل. يتعلق FRG بنموذج أوسلو بالرغم من أن العديد من المسؤولين الألمان من وراء الكواليس يدركون أن إسرائيل لا ترى أي سبب لإنهاء الاحتلال أو لحلّ مشروع الاستيطان في المناطق الفلسطينيّة المحتلّة. في حين أنّ تأثير الولايات المتّحدة في الشرق الأوسط في أدنى مستوياته منذ انتهاء الحرب الباردة، ما زالت أوروبا تتبع أميركا. بالرغم من أنّه من الصعب توقّع سياسة واشنطن حاليًا، من الواضح أن أي اقتراح لحكم ذاتيّ فلسطينيّ ستقدمه إدارة ترامب بالتعاون مع السعوديّة ومصر وإسرائيل، سيُفشل هدف منظمة التحرير الفلسطينيّة بإقامة دولة في المناطق الفلسطينيّة المحتلّة، ولذلك سيتم رفضه. على الأرجح أن تستمر ألمانيا بندائها لحل سلميّ، لأنه عليها حاليًا أن تسيّطر على أزمة سياسيّة داخليّة، ولم تقرّر بعد بشأن دور سياستها الخارجيّة في العالم. سيعني هذا، بناءً على الظروف الراهنة، إعطاء غطاء لاستمرار الاحتلال الإسرائيليّ والمشروع الاستيطانيّ.

ترجمته عن الإنجليزية: منى أبو بكر